محاضرة (09) : النقد اللساني في التراث العربي : شروح المعلقات

تمهيد :

لم تكن الحاجة إلى شرح الشعر طارئة أو جديدة ، فلا شك أنها أقدم بكثير من حاجة القرنين الثاني والثالث ، فهي تعود إلى عصر الشاعر نفسه ، الذي يتصرف في الألفاظ والمعاني فيصور ما لا يتضح عند السامع ومن هنا تبرز الحاجة إلى التفسير والتوضيح من قبل خير متذوق ومدرك بمعجم الشاعر الخاص ، فتكون ملاحظاته عميقة تكشف عن تمكن الشارح الفني ، ووعيه بالأدب ولغته .

وإدراك المناسبة أمر لفهم إشارات النص وتلمس مقاصده ، وإلا أصبح الفهم عقيما وبعيدا عن مراد الشاعر أو هدف القصيدة ، وهذا هو أحد مبررات قيام الشرح بجانب القصيدة حينما يتقادم العهد فيخفى أصل المناسبة أو دلالتها ، وهي من ضرورات كل عصر لفهم شعره ، لذلك كان الاهتمام بالمعلقات ممتدا عبر العصور .

ويظل نص هذه القصائد السبع أصلا غزيرا اتفقت حوله الأذواق ووجد فيه الدارسون ذخرا لكل مجتهد .

1- **تسميات المعلقات** : يعود ظهروها إلى ماقبل ظهور الاسلام 150 سنة تقريبا ، وأشهر قصائد العصر الجاهلي ، وتسمى بتسميات منها :

- المذهبات .
- المشهورات .
- السموط .
- المعلقات العشر .
- السبعيات .
- القصائد السبع الطوال الجاهليات .

وبقيت مكانتها الأدبية محفوظة على امتداد التاريخ الأدبي .

2- **تعريف المعلقات** : مجموعة من أروع قصائد شعراء العربي ، وهي من المطولات المعبرة عن روح العصر الجاهلي والبيئة البدوية التي صورها الشعراء في قصائدهم .

والمعلقات من أشهر ماكتب العرب في الشعر . وقد قيل لها معلقات لأنها مثل العقود النفيسة تعلق بالأذهان ، ويقال أنها قصائد كتبت بماء الذهبي وعلقت على أستار الكعبة قبل مجيء الإسلام

وتعد من أروع ما قيل في الشعر العربي وأنفسه ؛ لذلك اهتم الناس قديما بها ودونوها وكتبوا شروحا لها ، وهي عادة ما تبدأ بذكر الأطلال وتذكر ديار محبوبة الشاعر ، وكانت سهلت الحفظ وتكون هذه المعلقات من محبة له شعاره الخاص .

وقيل إن حمادا الراوية (راوية الكوفة) هو أول من جمع القصائد السبع الطوال وسماها بالمعلقات وكان يقول أنها من أعذب ما قال العرب .

3- **عدد المعلقات** : اختلف في عددها بين سبع قصائد وعشر ، وهي :

- معلقة الأعشى .
- معلقة الحارث بن حلزة اليشكوري .
- معلقة النابغة الذبياني .
- معلقة امريء القيس .
- معلقة زهير بن أبي سلمى .
- معلقة طرفة بن العبد .
- معلقة عبيد الأبرص .
- معلقة عمرو بن كلثوم .
- معلقة عنترة بن شداد .
- معلقة لبيد بن ربيعة .

4- **خصائص المعلقات** : تمتاز المعلقات بمجموعة من السمات ، أهمها :

- قوة اللفظ .
- ثراء المعنى .
- تنوع فنونها (بلاغتها).
- شخصية قائلها .
- الصدق والقبول .
- البساطة وعدم التكلف .
- النزعة الوجدانية .
- القول الجامع .
- الخيال .
- الإطالة والاستطراد .

5- **هدف المعلقات** :

- التوثيق التاريخي للعصر الجاهلي .
- الأخبار والأنساب .
- حالة المجتمع والأخلاق السائدة .

- الحالة الإقتصادية .
- وصف الحروب .

6- **المنهج اللغوي عند شراح المعلقات :** خصت المعلقات بشروح كثيرة ومتعددة ، قديمة وحديثة ، بوصفها أساسا للثقافة اللغوية والأدبية ؛ فهي مصدر اللغة الأول ومنبعها الصافي ، وفهمها يستوجب دراسة مادتها اللغوية ، الأمر الذي انطلق منه شراح المعلقات بتركيزهم على البناء اللفظي ومقوماته الدلالية وانعكاساته المتميزة في فنية نصوصها ، وانقسم الشراح في ذلك إلى :

- **المنهج اللغوي التعليمي :** ويمثله البطليوسي (494 هـ) ، وهو نحوي وعالم باللغة ، في شرحه نسبة عالية من التركيز على القضايا اللغوية ؛ إذ النص الشعري أصل لغوي أولا وأدبي في مرحلة ثانية ، كما اعتمد على ذوقه ومخزون علمه ، والإيجاز ، وإيراد أقوال العلماء السابقين واعتماد شروحهم وتفسيراتهم .
- **أسس المنهج اللغوي :** ويمثله بن كيسان (299 هـ) ، وهو نحوي وأديب ، يمثل شرحه المقدمة الطبيعية لأصحاب المنهج اللغوي من الشراح ، فهو أحد الشروح المبكرة التي تعود إلى أواخر القرن الثالث الهجري .

ومنهجه يبدأ بكلمة التفسير ويعني بها شرح المفردات والمصطلحات ، ويشير الى الصور والكنايات إن وجدت ، وينتقل إلى المعنى العام بعد ذلك "معنى البيت " ، فهو فيه معتدل بين الإيجاز والإسهاب "طريقة مبسطة معتدلة " .

- **المنهج اللغوي و ثقافة النص :** ويمثله محمد بن القاسم بن الأنباري (328 هـ) في كتابه " شرح القصائد السبع الطوال والجاهليات " ، فهو شارح متميز اعتمد أسلوبه في تأليف الكتب القائمة على الإملاء ، ويستقل شرح كل قصيدة ممثلا وحدة كاملة ؛ إذ يستهل شرحه بالحديث عن صاحب المعلقة وأخباره ، ومناسبات إنشاء الأبيات مع شرحها ، ويعتمد في ذلك على التوثيق أولا ، ومنه إلى شرح الألفاظ في معناها العام والخاص داخل البيت الشعري ثانيا ، ثم يتعرض إلى التراكيب التي تحتاج إلى بيان من خلال الإشارات الصرفية واللهجات ثالثا ، ثم يعمد إلى شرح المعنى وهو شرح يكون مجملا حينا وفي مكان واحد أو مفرقا بين السطور بعد شرح أي جزئية .

وفي تعرضه للمعنى ينتقل بين الروايات المختلفة للبيت وتوجيهات المعنى فيها ، ويمر على بعض الملاحظات البلاغية بصورة مختصرة ، ويختم هذا كله بإعراب ما يراه لازما فيطيل أحيانا مفصلا ولكنه في مواقع كثيرة يكتفي بأقل القليل .

ويتخلل هذا كله سيل كبير من الأخبار والأحاديث والحكايات والشواهد القرآنية و الأحاديث و الشعر والمأثورات ، وأقوال العلماء .

- **المنهج اللغوي الخاص :** يمثله أبو جعفر النحاس المصري (338 هـ) في كتابه "شرح القصائد السبع" ، طريقته اعتمدت على استدراك ما وقع فيه سابقوه من الشراح ، فاختصر في غريب القصائد السبع ، واستقصى أكثر ما فيها من النحو ، وتجنب كثرة الشواهد والأنساب ، كما ركز شرحه على تطبيق علوم النحو على الشعر (دراسة النحو من خلال الشعر) ، مع شرح معاني الأبيات الشعرية .

وتشغل قضايا اللغة والإعراب حيزا بارزا من كتابه مع عدم غفلته عن شرح المفردات وتوثيق الأبيات .

- **النظرة الفنية :** ويمثله القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (486 هـ) في مؤلفه "شرح القصائد السبع" وهو إمام النحو واللغة العربية ، فقد نظر إلى النص الشعري على أنه فن ، وأن شرحه هو الأساس الأول ، أما العلوم الأخرى فهي معينة ومساعدة .

اشتهر شرحه لكونه جمع محاسن أصحاب المنهج اللغوي ، واختصر الزوائد والاستطرادات ، ببيان معنى القصيدة ليس من حرفية الألفاظ وإنما من مقاصد قول الشاعر .

تميزت شروحه بالأسلوب الموجز ، و التوازن بين المعارف اللغوية والتاريخية ، والجانب الفني في القصيدة بإدراك حدود الألفاظ ودلالة المعنى والصور الفنية ، الأمر الذي يجعلنا نعتبره أهم ثمرة طيبة في مضمار النقد التطبيقي .